جمال حسين عبد الفتاح



شمس دنيا المنام

الإصدار الخامس

دراسة إسلامية في تعبير الرؤيا

شمس دنيا المنام

دراسة إسلامية في تعبير الرؤيا

جمال حسين عبد الفتاح

SELF-PUBLISHING

Shams dunya al-manam: dirasa islamiya fi ta'bir al-ro'ya

Fifth edition
Fully revised and updated edition

(Paperback) Self-published. Printed by CreateSpace independent publishing platform,
4900 LaCross Road
North Charleston, SC 29406
www.createspace.com

(Paperback) Distributed by Createspace.com, Amazon.com, BarnesandNoble.com.

ISBN-13 (paperback): 978-1-9818-3429-7
ISBN-10 (paperback): 1-9818-3429-X

For information, please contact the author via email:
jamal_houssin@hotmail.com

Designed and edited by Jamal Hussein Abdelfattah

Ecopy available on Payhip.com

www.jamalhoussin.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّه لأهوَن عندنا أن نخطئ في التعبير، فنبشِّر الفاجر بالخير في رؤياه،
من أن نصيب في التعبير، فنُحزن المؤمن بالشرِّ في رؤياه.

تصدير

بدأت قصَّة هذا الكتاب والإعداد له منذ سنوات عديدة، وامتدَّت خلال مجموعة من الإصدارات المتتابعة والمنقَّحة؛ بهدف إخراج بحث علميٍّ دقيقٍ وشاملٍ، يتناول قواعد وأصول تعبير الرؤيا في الإسلام، ويجمع بين العِلم الشرعيِّ الصحيح، وبساطة الأسلوب.

وقد تميَّز الكتاب بتقديم إجابات شافية على العديد من الأسئلة الشائكة والصعبة، التي يكثر حولها الجدال، في مجال تعبير الرؤيا في الإسلام في هذا العصر. وقد حرصنا فيه على الالتزام بما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من مفاهيم وأحكام، مع الاختصار دون الإخلال، والتفصيل دون الحشو، والابتعاد عن الخُرافة.

صدر هذا الكتاب لأول مرة منذ عشر سنوات. وخلال هذه الفترة قام بمطالعته ألوف من المسلمين؛ بعضهم من غير المتخصِّصين، وبعضهم من المهتمِّين بالعلوم الإسلاميَّة عمومًا، أو المهتمِّين بتعبير الرؤيا خصوصًا؛ فأثنى عليه الكثير منهم، وعدَّه بعضهم واحدًا من أفضل الكتب الإسلامية في مجال تعبير الرؤيا في العصر الحديث؛ وأبدى آخرون ملاحظاتهم، وطلبوا إعادة المراجعة، وإدخال التعديلات؛ فكان هذا الإصدار الجديد تلبية للمرغوب، ووفاء بالمطلوب.

وقد بذلنا في هذا الإصدار الجديد جهودًا كبيرة جلعت منه نُسخة أفضل من سابقتها بحمد الله، إذ تمَّت مراجعة الإصدار السابق بالكامل، وتدقيقه مرَّات متتالية، في كل مرَّة كانت تُضاف أجزاء جديدة مهمَّة، عددناها من النقص الواجب إكماله، أو تزال أجزاء زائدة، عددناها من الحشو الواجب حذفه، أو تُعدَّل أجزاء ضعيفة، عددناها من العيب الواجب إصلاحه، أو تُشرح أجزاء صعبة، عددناها من الغموض الواجب توضيحه، هذا بالإضافة إلى ما بُذل في المراجعة اللغوية، والتحرير، والتصميم، لإخراج الكتاب في أجمل صورة علميَّة وشكليَّة.

إن هذا الكتاب هو خطوة لإعادة تأسيس علم تعبير الرؤيا، وتعريف المسلمين بأركانه ومسائله، وإعادته إلى الصدارة بين العلوم الإسلاميَّة، كما كان في سابق عهده.

تقديم

الحمد لله الذي جعل الدنيا دُنْيَيَيْنِ: دنيا منام، ودنيا معاش؛ ثم جعل لكلٍّ واحدة منهما قانونًا، تسير وِفقَه أحوالُها، وتُنَظَّم به أفعالُها؛ فيغمُرُنا باتِّباعه خيرُها، ويلحَقُنا باجتنابه شرُّها.

والصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا مُحَمَّدٍ، الذي علَّمنا المنام، كما علَّمنا المعاش؛ فكانت كلماته دُررًا مضيئة، التقطناها، فجمعناها، فجعلنا منها نواةً لشمس جديدة لدُنيانا، وهي «شمس دنيا المنام».

ثم أمَّا بعد:

فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ رؤى المنام قد لاقت - وما زالت تلاقي - اهتمامًا كبيرًا من أكثر الناس على اختلاف عصورهم، وأوطانهم، وانتماءاتهم الدينيَّة والفكريَّة. ولا عجب في ذلك؛ فإنَّ رؤى المنام جزءٌ مهمٌّ من تكوين الإنسان، وعلامة بارزة بين تفاصيل حياته.

الكلام عن رؤى المنام كثير منذ أقدم العصور وحتَّى وقتنا هذا أملًا في تفسير هذه الظاهرة العامَّة، الشاغلة لكثير من الناس، والتي تناولتْها بالبحث والتحليل الشرائع السماويَّة والأرضيَّة، والنظريات الفلسفيَّة، والأبحاث النفسيَّة.

على الرغم من أهميَّة موضوع الرؤى، وتشعُّب الجدال حولها، لا تزال تحيط بها الكثير من الأوهام والخرافات؛ والسبب في ذلك ببساطة هو أنَّ الرؤى ما هي إلَّا جزء من عالم الغيب، الذي لا يستطيع الإنسان أن يدركه بحواسِّه الماديَّة، أو يرصده بأجهزته العلميَّة، وبالتالي، لا يمكن إخضاعها للملاحظة العلميَّة، أو التجربة المعمليَّة، ولا يُتوقَّع التوصُّل إلى نتائج دقيقة بشأنها، أو اكتشاف قوانين مفسِّرة لها بهذا الأسلوب.

كذلك، ومن باب أولى، فإنه لا يمكن كشف حقيقة الرؤى، ولا التعامل الصحيح معها بناءً على وجهات نظر فلسفيَّة، أو شَطَحات فكريَّة قادمة من الشرق أو الغرب.

هكذا، فإنَّ محاولات فهم الرؤى اعتمادًا على العلم التجريبيِّ أو الفلسفة هي غير موثوق بها غالبًا.

من هنا، وما دام الإنسان قد عجز عن إدراك حقيقة الرؤى، سواءً بحواسِّه أو بعقله، فلم يَبْقَ أمامه إلَّا اللجوء إلى الديانات السماويَّة من أجل أن يصل إلى تفسيرٍ شافٍ لهذه الظاهرة الغيبيَّة.

على الرغم من ذِكر الرؤيا في اليهوديَّة والنصرانيَّة، إلَّا أنَّ ما جاء عنها فيهما غير كافٍ لتفسير هذه الظاهرة بشكل واضح. وكذلك، فقد أضاف تحريف مصادر هاتين الديانتين المزيد من التعقيد إلى المسألة؛ فأصبح الاعتماد عليهما في فهم حقيقة الرؤى أمرًا لا يمكن أن يؤدِّي إلى النتيجة المطلوبة.

أمَّا الإسلام، فبالإضافة إلى أنَّه الدين السماويُّ الوحيد الذي حُفظت مصادره من التحريف، فقد أَولَى عناية فائقة ومميَّزة بالرؤى؛ فالرؤى في الإسلام جزءٌ من العقيدة، وأساس من أسس التديُّن والصلة بين الله والإنسان.

من الثابت في المصادر الإسلاميَّة الصحيحة (القرآن الكريم والحديث الشريف) أنَّ للرؤى معانيَ مهمَّة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة المسلم في الدنيا والآخرة. ولا جدال في أنَّ أصول الإسلام لا تخلو من حضٍّ صريح أو ضمنيٍّ على تعبير الرؤيا، بما يستلزمه ذلك من البحث في أحوالها، والاجتهاد في تقعيد علم تعبيرها.

انطلاقًا من هذه المكانة العظيمة للرؤيا في الإسلام، فقد عكف العلماء المسلمون في عصور ازدهار الحضارة الإسلاميَّة على دراسة وتحليل الرؤى، واستنباط قواعد تعبيرها. وقد ظهرت في مجال تعبير الرؤيا أسماءً كبيرة ولامعة من العلماء المتخصِّصين كالإمام محمَّد بن سيرين (المتوفَّى سنة ١١٠هـ)، والإمام ابن قتيبة الدِّينوريِّ (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)، والإمام أبي العبَّاس أحمد بن سرور (المعروف باسم الشِّهاب العابرِ والمتوفَّى سنة ٦٩٧هـ)، والشيخ عبد الغنيِّ النابلسيِّ (المتوفَّى سنة ١١٤٣هـ)؛ بالإضافة إلى ما كتبه الإمام البغويِّ (المتوفى سنة ٥١٦هـ) في كتاب «شرح السُّنَّة»، والحافظ ابن حَجَر العسقلانيِّ (المتوفى سنة ٨٥٢هـ) في كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاريِّ» (رحمهم الله)، وغيرهم كثير.

وقد ترك هؤلاء العلماء الأفاضل وأمثالهم آثارًا وكتابات في علم تعبير الرؤيا؛ لا يزال يُستضاء بما تبقَّى من بَصِيص نورها في فهم لُغة المنامات. وذلك رغم ما شاب هذا التراث العلميِّ من أخطاء، وما أُدخل عليه ممَّا ليس منه، وما انتهت صلاحيَّتُه فيه بالتَّقادُم.

أقبَلَت بعد ذلك عصور التخلُّف الأخيرة، وانحسرت النهضة العلميَّة للمسلمين، وضعُفت حركة البحث والتأليف والاجتهاد، وأصاب الإهمال الشديد - بل والانحراف أحيانًا - كلَّ ما يتعلَّق بالرؤى وتعبيرها؛ فعَزَف الباحثون المسلمون المعاصرون عنها، وأهملوا البحث فيها.

ولم يَلْبَث هذا الإهمال أن تحوَّل إلى عجز عن فهم الرؤى والتعامل معها بالشكل المطلوب؛ فلم تَعدَّ أفضل المؤلَّفات الإسلاميَّة الموجودة حاليًا في هذا الموضوع كونها مجرَّد اقتباسات من القرآن الكريم، أو الأحاديث النبويَّة الشريفة، أو أخبار السابقين وأقوالهم. وذلك بغير فقه منضبط لهذه النصوص؛ يُمكن على أساسه النظر إلى تعبير الرؤيا والتعامل معه كعلم محترم له استقلال وقواعد وأصول كبقيَّة العلوم الشرعيَّة؛ وبما يؤدِّي إلى تطويره وإخراجه من إطاره القديم؛ حتَّى يواكب التغيُّرات الكبيرة التي حدثت في هذا العصر وأدواته.

من قلب هذا العجز الذي أُصيب به المسلمون في مجال البحث العلميّ، والذي أدَّى بدوره إلى تراجعهم عن البحث في أحكام الرؤى وأحوالها وعلم تعبيرها، أصبح الباب مفتوحًا على مِصْرَاعَيْهِ أمام المنهج الغربيّ - غير الإسلاميّ - في تفسير الرؤى؛ وهو منهج نفسانيٌّ سطحيٌّ ضعيف، ينكر وجود الرؤى الصادقة المذكورة في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف (وهي الرؤى التي تكون من الله، والتي تحمل معانيَ ورسائل مهمَّة للإنسان)؛ كما يُفسِّر جميع ما يراه الإنسان أنه إعادة عرض من العقل الباطن للأمانيّ والرغبات التي يطمح إلى تحقيقها (وهو نوع من الأحلام التافهة التي لا معنى لها، والتي أقرَّ الإسلام بوجودها، وذُكرت في الحديث الشريف تحت اسم حديث النفس). وللأسف، أصبح هذا المنهج سائدًا في بعض بلاد المسلمين في التعامل مع الرؤى، سواء فيما هو مكتوب أو مسموع. وذلك على حساب المنهج الإسلاميّ في تعبير الرؤيا الصادقة، والموروث عن الأنبياء والصحابة وخيرة العلماء المسلمين.

والأسوأ من ذلك هو انتشار العديد من الكتب في الأسواق عن الرؤيا وتعبيرها، إمَّا أنها ضعيفة أو تحتوي على الكثير من المبالغات والمغالطات غير المقبولة شرعًا أو عقلًا. وكذلك، فقد ازدادت طبعات الكتب التراثيَّة المشهورة التي تتناول موضوع تعبير الرؤيا، والتي أصبحت مع مرور الوقت وتغيُّر العصور لا تُلبِّي الحاجة المطلوبة، ولا تَسُدُّ الفراغ الكبير، هذا بالإضافة إلى ما فيها من أخطاء علميَّة كثيرة، لم يَقُم أحد المتخصِّصين بتصحيحها حتَّى الآن.

ونظرًا للازدياد الكبير والملحوظ في اهتمام المسلمين بالرؤى في الوقت الحاليّ، والذي يتمثَّل في محاولة الكثيرين منهم البحث في أحكامها وتعبيرها، وبتزامُن هذا الاهتمام مع هذه الحالة من العجز العام عن فهمها أو التعامل معها بالشكل الصحيح؛ كانت النتيجة الطبيعيَّة أن يتطفَّل على هذا المجال شِرْذِمَة من الجهلاء والمتاجرين والوصوليّين بهدف السُّمعة أو الرِّبح، فأضافوا بفعلهم هذا مزيدًا من الكآبة إلى مشهد كئيب أصلًا، وما زادونا بإساءتهم هذه عن حلِّ المشكلة إلَّا بُعدًا.

ممَّا زاد الطين بِلَّة ظهور فئة قليلة من المنتسبين للمؤسَّسات الإسلاميَّة، لا يدعون

إلى إعادة إحياء علم تعبير الرؤيا، ولا إلى إعادة البحث فيه، ولا إلى إعادته إلى المكانة المرموقة التي يستحقَّها بين العلوم الإسلاميَّة، ولا إلى محاربة جهل المسلمين به بصحوة علميَّة فيه؛ ولكن يشكِّكون في أن يكون للرؤيا وتعبيرها علم مستقلٌّ له قواعد وأصول شرعيَّة من الأساس؛ بل ولم يتردَّد بعضهم في مهاجمة كلِّ من يحاول الترويج لهذه الفكرة. ومع ذلك، فقد يكون لبعضهم قليل من العُذر نتيجة لحالة من الغموض والفوضى وسوء الاستغلال تسود هذا المجال في الوقت الحاليّ.

من بين تقلُّبات هذا المناخ الراكد القاتم يخرج هذا الكتاب، الذي يتناول الرؤيا وعلم تعبيرها وفق الأصول الشرعيَّة الإسلاميَّة، ليكون بمثابة ثورة تصحيحيَّة لوضع خطأ، امتدَّت جذوره انحرافًا لقرون سابقة، فتراكمت تبعاته البائسة طبقات فوق طبقات، وقد تمثَّل ذلك فيما عانته الرؤيا وعلم تعبيرها من الأهمال الشديد والجمود والخرافة.

كما يأتي هذا الكتاب في وقت ازداد فيه احتياج المسلمين إلى هذا العلم، واشتاقوا إلى عودته إلى مكانته الكريمة المُستحقَّة بين العلوم الشرعيَّة الإسلاميَّة.

نسأل الله أن ينفع به المسلمين، وأن يتقبَّله منَّا عملًا صالحًا، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

منهج البحث

أمَّا عن المنهج البحثيّ الذي اتَّبعناه في هذا الكتاب، فتتمثَّل ملامحه في التالي:

١. الالتزام بالنصوص الشرعيَّة: ترتبط أكثر المسائل العلميَّة الواردة في الكتاب بأصول شرعيَّة قائمة على القرآن الكريم، والسُّنَّة النبويَّة الشريفة الثابتة صحَّتُها عن النبيِّ ﷺ.

٢. الملاحظة، والتجربة، والخبرة: ترتبط بعض من المسائل العلميَّة الواردة في الكتاب بأمور اكتسبناها من خلال الوقت الطويل الذي قضيناه بين رؤى الناس تأمُّلًا، وتعبيرًا، وتحليلًا. ولا غُبار أن تكون الملاحظة، والتجربة، والخبرة أُسُسًا يُستَنَد إليها في البحث العلميّ، ودروبًا يُعتمد عليها في إثراء مادَّته، وذلك إن لم تُخالف ثوابت الإسلام، أو الأصول الصحيحة في علم تعبير الرؤيا.

٣. التأصيل في ثياب التجديد: لا نميل إلى المبالغة في النقل الحَرفِيّ لنصوص الكتب التراثيَّة القديمة، فذاك نحسبه من العجز والكسل الذي شاع في هذه العصور الأخيرة في مجال البحث العلميّ. ولا يوجد - في اعتقادنا - دليل على ضعف الرسائل العلميَّة والبحوث، وإفلاس أصحابها، أكبر من كثرة النقل والاستشهاد بقول فلان وقول علَّان من العلماء (مع احترامنا الكامل لأهل العلم) دون حدٍّ أدنى من النقد الموضوعيّ والبنَّاء لهذه الاجتهادات.

مع ذلك، فلسنا نميل أيضًا إلى أن نشطح بعيدًا عن الجذور، أو أن نجنح بمعزل عن الأصول التي أقرَّها العارفون المجتهدون من أعلام خير القرون، ومن سار على نهجهم؛ إذ لا خيرَ يُرجى ممَّن فارق الجماعة، ولا شرَّ يُؤمَن ممَّن عارض إجماعهم.

وبالتالي، فقد حرصنا في هذا البحث على التزام النهج العام لمن سبقونا من أكارم العلماء، دون أن يشكِّل ذلك عائقًا يحول بيننا وبين أن تكون لنا إضافة نخدم بها العلم، ونُبرِز من خلالها شخصيَّتنا العلميَّة المستقلَّة.

٤. **الشمول:** حرصنا منذ بدء التخطيط لهذا البحث أن يكون عملًا جامعًا لما تناثر في الكتب المختلفة من مسائل منضبطة تتعلَّق بعلم تعبير الرؤيا. وذلك على خلاف العديد من البحوث في هذا المجال، والتي تُعاني إمَّا من الاختصار المخِلّ للموضوع أو النظرة الضيِّقة له؛ وسبحان من أحاط بكلِّ شيء علمًا.

٥. **العلميَّة:** قمنا بتصميم الكتّاب ليكون بحثًا علميًّا محترمًا له مكانته؛ وبالتالي، فقد نأينا به - قدر الاستطاعة - عن الغموض، والأوهام، والخرافات التي لا يكاد يخلو منها كتّاب عن الرؤيا أو علم تعبيرها.

٦. **بساطة الكلمة، والترتيب المنطقيُّ، وحُسن العرض، والتمثيل:** تمَّ عرض المادَّة العلميَّة في الكتّاب بأسلوب واضح، مُبسَّط، بعيد عن التعبيرات والمصطلحات الصعبة والمعقَّدة الموجودة في أُمَّهات الكتب الموروثة. وكذلك، فقد تمَّ ترتيب المعلومات الواردة في الكتّاب على أن نتدرَّج من الأسهل إلى الأصعب، ومن الأبسط إلى الأكثر تعقيدًا. ومع ذلك، فحتَّى المعلومات التي تُفترض فيها الصعوبة بطبيعتها، قد تمَّ عرضها في أبسط شكل ممكن؛ حتَّى يستطيع المسلم غير المتخصِّص أن يفهمها دون مشقَّة كبيرة.

وممَّا نأمل أن ينشرح له صدر القارئ العزيز من البشرى أن قد قمنا بعرض المادَّة العلميَّة في الكتّاب على هيئة سؤال وجواب؛ وذلك لاعتقادنا أنَّ هذا الأسلوب هو الأيسر، والأسرع، والأقوى في توصيل وتوضيح المسألة العلميَّة بشكل مباشر.

ولعلَّ من حُسن العرض أيضًا أن قمنا بتقسيم المعلومات الواردة في العديد من أسئلة الكتّاب إلى نصٍّ رئيس (يتمثَّل في إجابة عامَّة مُبسَّطة ومباشرة على السؤال)، وحاشية مُلحقة به (تحتوي على فوائد جليَّة وتفاصيل إضافيَّة).

كذلك، فإنَّ من أفضل ما لجأنا إليه ممَّا يُعين على فهم المسائل العلميَّة واستيعابها ضرب الأمثلة لها، فهذا ممَّا يجعل القارئ يتصوَّر ما يريد الكاتب أن يوصِلَه إليه من

معلومات، كما تُعين الأمثلة أيضًا على فهم وتطبيق القاعدة العامَّة المكتوبة في تعبير الرؤيا، وإسقاطها على واقع الرؤى وتعبيرها.

٧. **مخاطبة جميع المستويات الثقافيَّة:** تنحصر مُشكلة أكثر الكتب العلميَّة في أنَّها تُخاطب جمهورًا تفترض فيه درجة معيَّنة من الثقافة والعلم، ممَّا يجعلها صعبة مغلقة على كثير من الناس، أمَّا هذا الكتاب فإنَّه يُخاطب المسلم غير المتخصِّص بغرض أن يكتسب من خلاله ثقافة جيِّدة في فهم حقيقة الرؤى، وأسلوب التعامل الصحيح معها، وكيفيَّة تعبيرها، وفي الوقت نفسه يُخاطب الكتاب الباحث والعالِم المتخصِّص أملًا في أن يُشبع رغبته في الإلمام بكلِّ جوانب المسألة العلميَّة في تعبير الرؤيا ابتداءً بأصولها العامَّة، وانتهاء بتفصيلاتها الدقيقة والمتشعِّبة.

وأخيرًا، نسأل الله العليّ القدير أن يكون هذا الكتاب سببًا في إحياء علم شرعيٍّ قد مات أو كاد، وأن ينفع الله به الأُمَّة الإسلاميَّة إلى يوم القيامة، وأن يكون أساسًا متينًا يستند إليه الباحثون في علم تعبير الرؤيا، ليضيفوا مزيدًا من الأبحاث الجادَّة إلى هذا العلم الشريف.

وقبل الدخول في موضوعات الكتاب، لا يَسَعُنا إلَّا أن نردِّد هذا الدعاء:

«ربِّ اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم».

المحتويات

الباب الأول: **طبائع الرؤيا وأحوالها**

يتناول مفاهيم أساسية وأحكامًا شرعيَّة عن الرؤيا في الإسلام: كأنواع الرؤى، وكيف تحدث، وكيفية التمييز بينها، وبيان فوائدها للمسلم، والتحذير من أضرارها، مع ذكر الضوابط المرعيَّة، والمحاذير الشرعيَّة لتعبير الرؤيا.

الباب الثاني: **قواعد تعبير الرؤيا وأصوله**

يتناول القواعد الشرعية لتعبير الرؤيا: كالتعبير بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والأسماء، والتشابه، واللغة، والمثل السائر. ويكشف العديد من خفايا وأسرار التعبير الصحيح للرؤيا.

البا ب الأول

طبائع الرؤيا وأحوالها

١. ما هو مفهوم النوم في الإسلام؟

النوم في الإسلام هو حالة شبيهه بالموت، إذ يحدث النوم عندما يأخذ الله روح الإنسان من جسده، فإن كان في عمره بقيَّة، أعاد الله إليه رُوحه، فاستيقظ من النوم، أمَّا إن كان عمره قد انتهى، أمسك الله برُوحه، فلَم تعُد إليه.

والنوم في الإسلام هو من الآيات التي تَدُلُّ الإنسان على قدرة الله، وتُذكِّره بالموت بشكل يوميٍّ، فلا تُنسيه الدنيا بمشاغلها مصيره الأخير (وهو مغادرة هذه الدنيا)، وهدفه الكبير (وهو الاستعداد للقاء الله وحساب الآخرة).

ومن ضمن الحِكَمة التي خلق الله النوم من أجلها هو أن يكون راحة للإنسان من تعب المعيشة، وأداة صيانة لجسمه، حتَّى تتجدَّد قدرته على القيام بأنشطته اليوميَّة.(١)

---

(١) (أ) قال الله في كتابه الكريم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:٤٢).

اختلف العلماء حول معنى النفس التي يتوفَّاها الله أو يقبضها عند النوم، والمذكورة في الآية الكريمة، فقال بعضهم إنها الروح نفسها التي يقبضها الله عند الموت، وقال آخرون إنها شيء آخر غير هذه الروح.

والراجح أنَّ المقصود بالنفس المقبوضة عند النوم في الآية الكريمة هي الروح التي يقبضها الله عند الموت، والدليل على ذلك ما جاء في الآثار الصحيحة عن النبيّ ﷺ، وعن الصحابيّ عبد الله بن عبَّاس (رضي الله عنهما)، والتي تشير صراحة إلى أنَّ ما يُقبَض أثناء النوم هو الروح، فقد قال النبيّ ﷺ لجماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) عندما استيقظوا بعد طلوع الشمس، وقد فاتتهم صلاة الفجر: «إنَّ الله قَبَضَ أرواحكم حين شاء، وردَّها عليكم حين شاء» (مُتَّفق عليه)، وروي عنه ﷺ أنَّه كان يقول عند استيقاظه من النوم: «الحمدُ لله الذي عافاني في جسدي، ورَدَّ عليَّ روحي، وأذِن لي بذِكْرِه» (حديث حسن - رواه الترمذيُّ).

كذلك، فقد جاء عن الصحابيّ عبد الله بن عبَّاس (رضي الله عنهما) أنَّه قال في تفسير قول الله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾: «تلتقي أرواح الأحياء والأموات [أي في منام الأحياء]،

٢. ما هي الرؤيا؟

هي حالة خاصَّة من الوعي تحدث للإنسان أثناء النوم.(٢)

فيتساءلون بينهم، فيُمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها» (مجمع الزوائد - رجاله رجال الصحيح).

كذلك، قال الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:٦٠)؛ ومعنى جرحتم: فعلتم.

وكذلك، قال الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (الروم:٢٣)؛ أي أنَّ النوم هو من آيات الله الدَّالَّة على قدرته.

وكذلك، قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ:٩)؛ أي أنَّ الله قد جعل النوم راحة للجسم.

وكذلك، قال النبيُّ ﷺ: «النوم أخو الموت» (السلسلة الصحيحة)؛ ولعلَّه ﷺ قد قال ذلك؛ لأنَّ الله يتوفَّى الأنفس في كليهما.

قد يتساءل البعض: كيف يمكن أن تُقبض روح إنسان في المنام فيموت، بينما تُقبض روح إنسان آخر في المنام فلا يموت؟ فنقول: سبحان من قدر على أن يقبض روح هذا فيموت، ويقبض روح ذاك فلا يموت.

(ب) سؤال: هل يلزم النوم العميق لحدوث الرؤيا؟ الجواب: يمكن للنائم أن يرى رؤيا في غفوة بسيطة؛ وكذلك فمن المحتمل أن يرى رؤيا في المراحل الأولى من النوم، والتي يكون فيها على درجة من الوعي بما حوله؛ أي في مرحلة ما بين النوم واليقظة. ومع ذلك، فالظاهر أنَّ هذا لا يحدث مع أكثر الناس، فلا يرون رؤى إلَّا في أثناء النوم العميق المعتاد؛ وقد جاء عن الصحابيِّ عبد الله بن زيد (رضي الله عنه) أنه قصَّ على النبيِّ ﷺ رؤيا (الرؤيا التي شُرع بها الأذان)، فقال إنه رآها وهو «بين نائم ويقظان» (جزء من حديث صحيح طويل رواه أبو داود)، ولم يعارضه النبيُّ ﷺ في ذلك؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ الشخص قد يرى رؤى صادقة مُهمَّة وهو بين النوم واليقظة؛ أو قد يرى رؤى في مرحلة من النوم غير عميقة أو غير كاملة بحيث يكون لديه أثناء رؤياه بعض الوعي بعالم اليقظة؛ أمَّا ما نُقل عن الكرماني عن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) أن أصدق الرؤيا تكون عند استغراق النوم (الإشارات في علم العبارات)، فهو كلام لا أصل له ولا دليل عليه؛ بل ويكذبه الحديث الصحيح كما تقدَّم.

(٢) (أ) الوعي هو قدرة الشخص الطبيعيِّ على إدراك ما حوله من الأشياء العاديَّة؛ وهذا هو

٣. ما هي الأشياء التي يُمكن أن يراها الإنسان أثناء النوم؟

يمكن أن تقع الأشياء التي يراها الإنسان في نومه تحت عدَّة تصنيفات، ومنها:

١. صور: كرؤيا الإنسان، أو الحيوان، أو النبات، أو الجماد...إلخ.

الوعي الخِلقيُّ الذي يدرك به الناس ما يحيط بهم من أمور معايشهم؛ أمَّا في أثناء النوم، فيُفتَرَض أن يفقد الشخص هذا الوعي بشكل مؤقت، ليتكوَّن لديه نوع آخر من الوعي: وهو رؤيا المنام؛ ويتميَّز هذا النوع من الوعي في المنام تميُّزًا كبيرًا عن الوعي في اليقظة، سواءً من حيث المصدر، أو الشكل، أو المعنى. (وسوف نتناول هذه النقاط بالتفصيل في سياق هذا البحث بمشيئة الله).

(ب) التعريف المشتهر للرؤيا عند العديد من علماء أهل السنة والجماعة هو أنها «اعتقادات يخلقها الله في قلب النائم» (فتح الباري وغيره). ولا شكَّ أن الله هو خالق كل شيء (سبحانه وتعالى)؛ لكن هذا التعريف غير دقيق إذا ما قورن بقول النبي ﷺ: «الرُّؤيا ثلاثٌ: فَرؤيا حقٌّ، ورُؤيا يحدِّثُ الرَّجلُ بِها نفسَهُ، ورؤيا تحزينٌ منَ الشَّيطانِ» (حديث صحيح - رواه الترمذي)؛ وكذلك قوله ﷺ: «الرُّؤيا منَ اللَّهِ، والحُلُمُ منَ الشَّيطانِ» (متفق عليه)؛ أما التعريف المذكور في إجابة السؤال أعلاه، فنحسبه أقرب للصواب؛ فقد جمع بين هذه الحالات المختلفة للرؤيا، والمذكورة في الحديث الشريف.

(ج) سؤال: ما هو الفرق بين كلمتي «رؤيا» و«حُلم» من حيث الدلالة اللغوية والمصطلح الشرعي؟ والجواب: لا يوجد فرق بين الكلمتين من الناحية اللغوية، فكلاهما يعني «ما يُرى في النوم» (المعجم الوسيط)؛ أما من ناحية المصطلح الشرعي فمن المستحب أن تُطلق كلمة «رؤيا» على الصادقة التي تكون من الله، بينما تُطلق كلمة «حُلم» على الكاذبة التي تكون من الشيطان أو حديث النفس؛ وقد جاء في الحديث: «الرؤيا من اللهِ، والحُلُمُ من الشيطانِ» (متفق عليه)؛ وفي القرآن الكريم: ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف:٤٤].

(د) سؤال: ما الفرق اللُّغوي بين كلمة «رؤية» (بالتاء)، وكلمة «رؤيا» (بالألف)؟ والجواب: أنه لا يوجد فرق لغويٌّ بينهما؛ فيجوز أن يُستخدم كلاهما للتعبير عمَّا يُرى في المنام؛ ولكن يكثر استعمال كلمة «رؤيا» (بالألف) للمنام، بينما يكثُر استعمال كلمة «رؤية» (بالتاء) لما يراه الإنسان ببصره في اليقظة. وقد استُخدِمَت كلمة «رؤيا» (بالألف) في القرآن الكريم للتعبير عن رؤية بصريَّة - وليست مناميَّة - كما في قول الله عن حادثة الإسراء والمعراج: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء:٦٠).

٢. **أفعال:** كرؤيا الأكل، أو المشي، أو الطيران، أو الهروب...إلخ.

٣. **أصوات:** كسماع صوت إنسان، أو حيوان، أو طبيعة، أو موسيقى...إلخ.

٤. **روائح:** كَشَمِّ الروائح الجميلة، أو الكريهة...إلخ.

٥. **مذاقات:** كذوق الطعم الحلو، أو المرِّ أو الحامض...إلخ.

٦. **مشاعر وأحاسيس:** كالشعور بالحبِّ، أو الكراهية، أو المتعة، أو الألم، أو الخوف...إلخ.

٧. **أفكار ومعلومات:** كأن يرى الشخص في منامه أنه يفكِّر في أشياء معيَّنة، أو أنه يدركها بالفِكر فقط دون قول أو فِعل في الرؤيا.

٨. **أشياء أخرى:** ومن ضمنها رؤى لا يتذكَّرها النائم بعد الاستيقاظ، كأن يستيقظ الشخص من نومه وقد أدرك أنه رأى رؤيا، ولكن دون أن يتذكَّر أية تفاصيل أو أحداث فيها، أو ربَّما يستيقظ وقد أدرك أنه رأى رؤيا تدور حول معنى معيَّن، إلَّا أنه يتذكَّر المعنى فقط الذي تتعلَّق به الرؤيا، دون أن يتذكَّر أية تفاصيل أو أحداث في الرؤيا نفسها.(٣)

---

(٣) (أ) سؤال: هل يصحُّ لغويًّا استخدام الفِعل «رأى» - الذي يُستخدَم عادة للتعبير عن الرؤية البصرية - لتوصيف رؤى المنام، في حين أنَّ حاسَّة البصر تكون معطَّلة أثناء النوم؟ الجواب: أنَّ الفعل «رأى» لا يُستخدم فقط للدلالة على ما يراه المسلم ببصره، بل قد يُستخدم أيضًا للدلالة على معانٍ أخرى. فعلى سبيل المثال: قد يأتي الفعل «رأى» أحيانًا بمعنى «عَلِمَ»، كما في قول الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ (الماعون:١)؛ أي أعَلِمتَ الذي يُكذِّب بالدِّين؟ وقد يأتي هذا الفِعل أحيانًا أخرى للتعبير عن الرأي الشخصيّ، كأن يُقال: «أرى أن نؤجِّل السَّفر إلى الأسبوع القادم حتَّى نستعدَّ له»، وغير ذلك من الاستخدامات المتعددة لهذا الفعل. وكذلك، يصحُّ لغويًّا أن يُستخدم الفعل «رأى» للتعبير عن رؤى المنام، ولا يوجد دليل على جواز ذلك أقوى من ذكر هذا الفعل في القرآن الكريم للتعبير عن رؤيا منام، كما في قول الله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:٤).

(ب) وسؤال ثانٍ، وهو: هل يجب أن تحتوي الرؤيا على صورة أو أكثر؟ أم يمكن أن يرى النائم رؤيا لا صورة فيها؛ كأن تقتصر رؤياه على شمِّ رائحة معيَّنة أو على سماع صوت معيَّن مثلًا؟ والجواب

٤. ما هو الفرق بين الوعي في اليقظة والوعي في النوم؟

١. الوعي في اليقظة مصدره الأساسيُّ الحواسُّ الخمس (السمع، البصر، الشمُّ، التذوُّق، اللَّمس)، بينما لا تكون هذه الحواسُّ غالبًا مصدرًا للوعي أثناء النوم.

٢. الوعي في اليقظة محدود بقوانين ماديَّة معيَّنة، ومُقيَّد بقيود لا يستطيع الإنسان الخروج عنها عادة، فلسَمعِه حدود، ولبصره حدود، ولحركة جسمه حدود، أمَّا في الرؤيا فتتَّسع حدود الوعي بشكل أكبر كثيرًا من اليقظة، فيمكن أن يمرَّ النائم بتجارب "حسيَّة أو شعوريَّة" لا يستطيع التعرُّض لها في اليقظة، كرؤياه لنفسه يطير في الهواء، أو يتكلَّم مع الأموات، أو رؤياه للجنَّة أو النَّار، أو أشباه هذه الأمور.

٣. يستطيع الإنسان أن يتحكَّم في وعيه ويختار أثناء اليقظة، فيسمع أو لا يسمع، وينظر أو لا ينظر، ويفعل أو لا يفعل، بينما يفقد هذه القدرة في رؤيا المنام.

٤. يختلف تفسير الوعي أثناء اليقظة عنه أثناء النوم، فأغلب الأشياء التي يدركها الإنسان في اليقظة لا تحتمل أيَّ معنى أبعد ممَّا يقوم المخُّ بتفسيرها به فورًا، فمثلًا السيَّارة التي يراها الإنسان في رؤيا المنام لا يمكن أن تعني إلا أن تكون سيَّارة، والطائرة طائرة...وهكذا. أمَّا الوعي أثناء النوم -أو رؤيا المنام-، فقد يكون له تفسير مختلف عمَّا يراه النائم، كتفسير السفينة بالنجاة من موقف عصيب، أو الأفعى بإنسان شرير مثلًا.(٤)

هو: أنَّ الأصل في الرؤى والغالب عليها أنها تحتوي على صورة أو أكثر، فإن حدث غير ذلك، فهو قليل، كأن يرى النائم على سبيل المثال في بعض الرؤى أنه يسمع كلامًا فقط دون صورة، وهذا الأخير هو نوع من الرؤى يُطلق عليه «الهاتِف».

(٤) (أ) ما يظهر هو أنَّ الشخص يفقد إحساسه بالزمان والمكان في أثناء النوم، والدليل على ذلك ما جاء في قصَّة أهل الكهف التي حكى عنها القرآن الكريم ممَّا يدلُّ على أنهم فقدوا إحساسهم بالزمان والمكان.

فأمَّا فقدانهم الإحساس بالزمان، فدلَّ عليه قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ

٥. ما هي مصادر الرؤى؟

للرؤى مصادر ثلاثة عند النائم: من الله (عز وجل)، أو الشيطان (لعنه الله)، أو النفس البشريَّة.(٥)

مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (الكهف:١٩)؛ فهُنا اعتقدوا أنهم ناموا لمدَّة يوم أو ساعات، وذلك على خلاف ما ناموه فعليًّا فترة ثلاثمائة وتسع سنين، أو كما جاء في قول الله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف:٢٥).

وأمَّا فقدانهم الإحساس بالمكان، فدلَّ عليه قول الله على لسانهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩)؛ فعندما استيقظوا بعد هذه السنين الطويلة جدًّا، لم يدركوا التغيُّرات التي حدثت للمدينة التي كانوا يعيشون فيها من تعاقُب الأجيال، وتبدُّل الأحوال، وظنُّوا أنها مدينتهم ذاتها التي تركوها.

(ب) نظرًا لأنَّ ما يستطيع النائم أن يفعله - إن صحَّ هذا التعبير - في الرؤيا هو أوسع، وأكبر، وأيسر ممَّا يستطيع أن يفعله في اليقظة، فقد دَرَج الناس على استخدام كلمة «الحُلم» أو «الأحلام» للتعبير عن الأمنيات أو التطلُّعات الشاقَّة التي يصعب تحقيقها في الواقع أو يستحيل، فإذا تحقَّقت هذه الأمنيات قالوا: «حقَّقنا حُلمًا»، فيُقال مثلًا: «كان الطيران حُلمًا للبشريَّة على مرِّ العصور حتَّى تحقَّق».

وكذلك، تُستخدَم هذه الكلمة في التعبير عن الأوهام، والظنون، والتصوُّرات البعيدة عن الواقع، فيُقال مثلًا: «إن كان الكافر يظنُّ أنه سوف يدخل الجنَّة بكُفرِه، فهو يحلُم».

كما يُستخدَم تعبير «أحلام اليقظة» (وهو تعبير مُترجَم) للدلالة على الأمنيات الجميلة التي يسرح الإنسان بعقله في تحقيقها دون أن تتحقَّق في الواقع.

(ج) ليس للنائم أيُّ اختيار في رؤياه على الأرجح، بل هي مفروضة عليه، والدليل على ذلك أنَّ الله لا يُحاسبه على فترة النوم، بل إنها لا تُحسب عليه من عمله أصلًا، أو كما جاء في قول النبيّ ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة»، وذَكَرَ منهم «النائم حتَّى يستيقظ» (صحيح الجامع).

(٥) يقول النبيّ ﷺ: «الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله» (رواه البخاريُّ).

الفهرس

شمس دنيا المنام

دراسة إسلامية في تعبير الرؤيا

كتاب فريد؛ يتناول قواعد وأصول تعبير الرؤيا بشمول وتفصيل، بأسلوب عصري شائق؛ يجمع بين التأصيل العلمي الشرعي، وبساطة اللغة، وسهولة الشرح، وحسن العرض والترتيب. يتميز الكتاب بالاعتماد في أكثر مادته على القرآن الكريم والحديث الشريف، مع الالتزام بالخط العام لمنهج تعبير الرؤيا لأكارم علماء التعبير من الصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين أعلام تعبير الرؤيا. ابتعد الكتاب عن كل ما هو بعيد عن الشرع من البدع في التعبير والمسائل غير المنضبطة، أو المكذوبة، أو الضعيفة، أو التي لا أصل لها، أو القيل والقال بغير دليل، أو الخرافات، أو الأشياء الدخيلة على تعبير الرؤيا، أو الأشياء القديمة التي لم تعد توجد في هذا العصر أو تناسبه. يجيب الكتاب على العديد من الأسئلة الشائكة، التي كثر الجدال حولها في مجال تعبير الرؤيا.